بحوث ودراسات

# تأملات في الاطر العامة والخاصة للفكر السياسي في ليبيا القديمة

الدكتور
عامر حسن فياض(*)

## المقدمة

يؤكد فرانكلين باومر في الجزء الاول من كتابه الذي يحمل عنوان "الفكر الاوروبي الحديث" ان هناك اسئلة خمسة يجيب عنها الفكر عبر التاريخ وحتى يومنا هذا وهي:

ما هو الله؟ ماهي الطبيعة؟ ما الانسان؟ ما التاريخ؟ وما المجتمع؟

وبقدر تعلق الامر باهتمامات الفكر السياسي فأنه لا يجيب الا عن جزء من السؤال الاخير (ما المجتمع)؟ فهو يجيب عن الجزء المتصل بالظاهرة السياسية في المجتمع والظاهرة السياسية تتحدد عند البعض بـ"الدولة"، وعند البعض الاخر بـ"السلطة" والمرجح عندنا ان الظاهرة السياسية تعرف بدلالة السلطة لا بدلالة الدولة.

**لماذا؟**

لان السلطة سابقة، في وجودها، على الدولة. فالسلطة هي قرينة كل مجتمع. ولو حصرنا تحديد الظاهرة السياسية بـ "الدولة" وهي معطية سياسية حديثة الظهور، لا لغينا دراسة الفكر السياسي قبل نشوء الدولة. الامر الذي يسمح لنا بملاحقة وتتبع التأملات الفكرية السياسية المتصلة بالسلطة السياسية في ليبيا القديمة التي عرفت السلطة قبل ان تعرف الوحدات السياسية الحديثة المتجسدة بالدولة.

وفي ليبيا القديمة كما في المجتمعات القديمة في الشرق والغرب كان الفكر السياسي قد حكمته الطبيعة الجغرافية والتكوين البشرى من جهة والتأثر بالوافد من الخارج من جهة ثانية. فضلاً عن ان الافكار والممارسات السياسية كانت تتميز بالصفة القدسية المتوارية وراء الاساطير والموصوفة بالطابع المعاش والمحسوس غير التجريدي من جهة ثالثة.

عليه لا نستطيع بسهولة تلمس الفكر السياسي في ليبيا القديمة لانه فكر جاءنا في جانب كبير منه، عبر الاساطير التي تحتاج رموزها الى حل لكشف دلالاتها الفكرية القديمة كما ان هذه تعود الى ان هذه

(*) كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد.

السلطة كانت تمثل مؤسسة معاشة اجتماعية ودينية واقتصادية ثم سياسية في نفس الوقت عند الانسان الليبي القديم.

ان الحديث عن الفكر السياسي يعنى الحديث عن التأملات حول الظاهرة السياسية المتمثلة بالسلطة ومسيرة الفكر السياسي، عموما، وتتحدد بدلالة علاقات القوى الاجتماعية وتلك العلاقات تشكل ضمن فضاءات او اطر عامة تحكمها صلات الانسان بالارض، وفي ضوء ذلك سنحاول تحديد الاطار العام للفكر السياسي في ليبيا القديمة ثم نتابع الاطار الخاص لهذا الفكر هناك[1].

**الاطار العام للفكر السياسي في ليبيا القديمة:**

بقدر تعلق الامر بالسكان الليبيين الاوائل، فمن المعروف ان السكان الاوائل الذين استقروا في اقليم ليبيا القديمة هم (البربر). بيد انهم لم يكونوا، بأي حال من الاحوال، جنسا واحدا منسجما من الناحية الانثروبولوجية اذ كان جنسهم مكونا من اقوام مختلفة ضمت (التحنو) و(التمحو) و(الليبو) و(المشواش) و(الكهك) واقوام اخرى في البحر الابيض المتوسط[2].

واذا كان المؤرخون الاغريق قد ارجعوا اصل هذه الاقوام الى حركة بشرية جاءت من شرق البحر الابيض المتوسط، واذا كان المؤرخون العرب قد ارجعوا اصل هذه الاقوام الى اقوام نزحت بعد انفجار سد مأرب من اليمن ومن العراق[3] فمن الممكن الجمع ما بين الروايتين لنؤكد بالتالي ان السكان الليبيين الاوائل يرجعون في اصولهم الى هذين الحدثين التاريخيين بالاضافة الى احداث تاريخية اخرى ليمثلوا، بالنتيجة، نموذجا لاختلاط كبير حدث عبر التاريخ ما بين اقوام مختلفة كانت خلاصته السكان الليبيين[4].

ولم يكن هؤلاء يحملون في بادئ الامر، هذه التسمية، وانما الاغريق هم الذين اطلقوا هذه التسمية التي اختص بها قوم من الاقوام التي يتكونون منها سمي، كما راينا بأسم (الليبيو) وكانوا يقطنون خليج (سرت) وقد مثلوا الاغلبية العددية بالقياس الى الاقوام الاخرى التي قطنت المنطقة.

ولكن لابد من الاشارة الى ان الاغريق، وهم يستعملون هذه التسمية، كانوا قد خصوا بها جميع سكان شمال افريقيا[5].

اما بصدد الاقليم الذي قطنته هذه الاقوام، فانه يضم نطاقات جغرافية متنوعة، يبدأ امتداد النطاق الاول على ساحل البحر الابيض المتوسط ليظهر كشريط ممدوج المظهر يعرف بـ(التل)، ويسوده مناخ لا يختلف كثيرا عما هو موجود على طول ساحل القارة الاوروبية الجنوبي، ويسكنه قوم يمارسون الزراعة بالدرجة الاولى. ويلي هضبة (التل) صوب الجنوب مناطق اكثر ارتفاعا ويغلب عليها الجفاف. ويقطنها قوم يمارسون مهنة الرعي

جامعة بغداد
مكتبة كلية العلوم السياسية

ثم تنحدر المرتفعات انحداراً واضحاً صوب الصحراء التي تشكل اوسع نطاق جاف ومقفر على سطح الكرة الارضية[٦].

وقد لعبت طبيعة الاقليم الليبي البشرية والمناخية دوراً كبيراً في تحديد الحياة السياسية في ليبيا القديمة. فهذا الخليط البشري اضافة الى الجفاف والفضاءات الجغرافية الشاسعة لعبت دوراً، كعوامل جذب او طرد، الحياة المستقرة. الامر الذي يسمح لنا بالحديث عن شكلين من اشكال السلطة عرفتها ليبيا القديمة وهي: سلطة الحضارة الرعوية وسلطة الحضارة المستقرة.

**أ. سلطة الحضارة الرعوية في ليبيا القديمة:**

مرت ليبيا القديمة بادوار حضارية هي ذاتها التي مرت على الانسان القديم في فترة ما قبل التاريخ. وعبر هذه تكونت مجتمعات مختلفة اتخذت، على العموم، طابعاً قبلياً. واستمر وجود هذا النمط الاجتماعي القبلي لمراحل تاريخية لاحقة، فالقبائل الليبية القديمة[٧] لم تعرف عاصمة نهائية لها. اذ لم يتح لها ان تحقق وحدتها حول عاصمة ما.

وقد علل الباحثون ذلك بالتجزؤ الجغرافي وصعوبة المواصلات وانعدام الاودية الموصلة. وهذا ما يفسر الطبيعة غير الموحدة للسلطة السياسية في ليبيا القديمة وقد ترتب على ذلك انه لم توجد ممالك تتسع شيئاً فشيئاً ليعم سلطانها البلاد الليبية قاطبة، وانما كل الذي وجد هو قبائل يوحد ما بينها زعيم جريء ليؤسس مملكة على اثر غزوة ناجحة يقوم بها تحت ضربات كتلة اخرى من القبائل او ضربات جهة اجنبية كما حدث ذلك بالنسبة للمملكة التي اقامها الزعيم (ديدي) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. والتي تعرضت للانهيار على يد (رمسيس) الثالث نتيجة قيام الاول (ديدي) بالهجوم على مصر[٨].

ان ضرورات الحياة الرعوية والزراعية ضمنت نشوء مشتركات قروية اوسع من القبيلة الواحدة. فالرعاة يتحدون للحفاظ على الاراضي التي يمرون بها كرعاة. واهل الحضر المتعاطون للزراعة يشيدون القرى لصد هجمات البدو الاعداء الا لداء لهم. وقد شكل كل هؤلاء المشتركات القروية.

ويرى (ايف لاكوست) ان هذه المشتركات تضم العوائل التي تمتلك حداً اعلى مشتركاً يغلب ان يكون اسطورياً او رمزياً. ولابد من الاشارة الى ان المشترك يبقى الخلية السياسية الاساسية بالاضافة الى كونه يمثل الخلية الاقتصادية والاجتماعية ايضاً[٩].

لقد كان المشترك القروي يمثل وحدة اجتماعية يسودها التضامن والتعاون. وكانت اموره تدار من قبل مجلس يضم رؤوساء العوائل الذين كانوا يتميزون من الناحية المبدئية، بانهم متساوون. وهؤلاء الرؤوساء

كانوا يوزعون فيما بينهم التكاليف والمزايا. لكنهم كانوا يمارسون في نفس الوقت. سلطة فعلية تقوم على اساس من العرف.

ولابد من الاشارة الى ان هؤلاء كانوا يختارون من بينهم رئيساً زمنياً يكون في الغالب بمثابة الوكيل الذي يرعى بمشاركة المجلس الشؤون الخاصة بالمشترك[١٠]. ان المشتركات القروية كانت تخضع بلاشك الى وحدات اكبر هي الوحدات القبلية وكل وحدة كانت تجد على رأسها زعيماً ينتمي الى اسرة معينة تحتكر لنفسها الزعامة داخل القبيلة وذلك لاعتبارات عديدة.

ونرى نصوص الملك (رمسيس الثالث) وهي تتحدث عن رؤساء (المشوش) فقد اشارت نصوص الاسرة الثانية والعشرين الليبية الى عبارات (زعماء ارض المشوش) و(الرئيس الاعظم للمشوش). كما ننظر في الصور التي حفظتها جدران المعابد في مصر قسم من المشوش وهم يتحلون بريشة واحدة واخرين يتحلون بريشتين، وربما ذلك يعتبر علامة على تباين المركز الاجتماعي.

وكان من علامات الرئاسة بالاضافة الى الريشة، اتخاذ ذيل الحوت حلية وزينة ولعلها كانت تميز الرئيس عن عامة الليبيين، وذلك ضمن حدود معينة متعارف عليها. وكثيراً ما كان هذا الزعيم يتنحى عن الرئاسة اذا ما ثبت عدم كفاءته لاسيما في الحملات العسكرية ليعهد بمنصبه الى احد اعضاء الاسرة الاخرين. وهذا ما حصل فعلاً للعاهل (ديدي) نفسه. اذا ان فشله في الحرب مع العاهل المصري (رمسيس الثالث) كان قد اقترن بنزع الملوكية منه. فقد جاء في نص مصري قديم يصف مصير العاهل (ديدي) فيقول:

"لن يتمكن (ديدي) من تولى القيادة من جديد" اذا ان القبائل التي كان عليها ملكاً ولو على انفسهم اميراً غيره، واحداً من اخواته ويعلق الدكتور (عبد اللطيف البرغوثي) على هذا النص بالقول:

"فها هو ديدي كغيره من زعماء البربر القدماء يكتشف ان سلطته على قومه كانت تتوقف على نجاحه العسكري. اما وقد فشل فقد انقلب عليه رجاله، واطاحوا به "ولكنه لم يقتل ويصفه النص انف الذكر بالقول بانه "يتعثر في خزيه ويسير مطاطئاً راسه بعد ان اطار الحظ السيء الريشة التي كانت تزدان بها هامته[١١].

ويرجح ان يكون هناك مجلس استشاري يتعاون مع رئيس القبيلة في ادارة شؤونها. وكان هذا المجلس يضم كل الرجال الكبار (الشيوخ) وهذا المجلس كان يجتمع كما هو الحال بالنسبة لقبائل الاوسيس، كل ثلاثة اشهر او مرة في كل فصل من فصول السنة[١٢].

وكثيراً ما كانت هذه القبائل تكون بدورها تجمعاتها التي كانت تتخذ شكل الدولة الصغيرة البدائية.

وكانت هذه التجمعات تقوم بقصد الدفاع او الهجوم، دون ان يؤدي ذلك الى ان تفقد القبيلة استقلالها داخل هذه التجمعات. وكانت هذه الدولة الصغيرة البدائية تدار من قبل مجلس مشترك. ولكن عندما تضطرم الحروب تختار القبائل قائداً لمواجهة هذا الحدث وقيادة الامور ويدعى (الاغليد) وهذا (الاغليد) كان يسعى اذا ما نجح في مهمته الى الانفراد بالحكم وجعله وراثيا[١٣].

وغالباً ما كان (الاغليد) يلجأ الى القوة والبطش لاسيما في الفترات المتميزة بالاضطراب من اجل تحقيق هدف الانفراد بالحكم. واذا ما توفر له ذلك يصبح ملكاً يمد نفوذه على كل القبائل المنضوية تحت امرته. والغالب على الظن هو ان الممالك البربرية كانت قد تكونت على هذا النحو.

والملك (الاغليد) على قدر هيبته كان يستعين في ممارسة الحكم لا بموظفين رسميين، وانما يستعين باقاربه وربما بخدمه في بعض الاحيان. بيد انه كان يستشير وجوباً رؤوساء القبائل وتقدر قيمة استشارات هؤلاء بقدر اهمية القبائل التي يرأسونها. ومع ذلك، وبكل الاحوال لم يكن هذا الملك (الاغليد) يملك حق اغفال استشاراتهم تجنباً لاغضابهم وشق عصا الطاعة عليه.

ومقابل ذلك كان (الاغليد) قائداً وعلى القبائل ان تهيء الفرسان تحت امرته وكان يتمتع ببعض المزايا المادية التي يغلب انها تتمثل بالهدايا التي تقدمها طوعاً، القبائل التابعة[١٤].

ورغم كا ما تقدم، الملاحظ ان السلطة في هذه التجمعات القبلية لم تكن في هذه الفترة الزمنية، سلطة سياسية. بكلمة اوضح ان السلطة في هذه التجمعات القبلية كانت، بالاحرى سلطة اجتماعية فهي سلطة موزعة تختص بها كل القبائل. وربما كل افراد القبائل واذا ما راينا انفراد قائد بممارستها فان ذلك يرجع لا الى اعتبارات خاصة وانما بالاحرى الى اعتبارات اجتماعية فبقدر ما يمثل البلاد في الحرب والانتصار فيها شكلاً من اشكال الكفاءة الاجتماعية، فان ممارسة القائد للسلطة لم تكن قائمة على مركز خاص يمثله من يمارس هذه السلطة داخل اطار من التمايز الاجتماعي.

وربما من الممكن ارجاع غياب السلطة السياسية في ليبيا في هذه الفترة الزمنية الى ان القبائل التي وجدت في تلك البلاد كانت في الغالب قبائل رعوية ويبدو ان هذا ما يؤكده اغلب الكتاب، ففي تفسيره للصراع الذي دار بين القبائل الليبية والفراعنة المصريين انطلق (جون رايت) على سبيل المثال من وجود حضارتين متنافستين هما، الحضارة الرعوية والحضارة المستقرة، فاذا كان الفراعنة المصريون يمثلون النموذج الثاني من الحضارة، فان القبائل الليبية كانت تمثل انذاك النموذج الاول[١٥].

والذي يراه العميد (موريس هوريو) هو ان السلطة السياسية لا

يمكن ان توجد الا في ظل حضارة مستقرة وبقدر ما كانت ليبيا، في تلك الفترة الزمنية، تفتقد لمثل هذه الحضارة، فإنها لم تكن تعرف السلطة السياسية[16] والذي يراه الدكتور (عبد الرضا الطعان) هو ان غياب السلطة السياسية حينها، يرجع بالدرجة الأساسية، الى ان التجمعات القبلية لم تكن تعرف تمايزاً اجتماعياً يستشعر الحاجة الى وجود سلطة تمارس القسر لضمان النتائج الفعلية لهذا التمايز الاجتماعي تتمثل بالسلطة السياسية. وان غياب مثل هذا التمايز يرجع في الاساس الى غياب الملكية الخاصة فقد كتب (جوليان) كما يشير (الطعان) قائلاً: لقد حافظت قبائل الرعاة على ملكية الارض الجماعية "ثم يضيف قائلاً" لابد ان وجدت اشتراكية في الميدان الزراعي تتمثل في قسمة ثمرة عمل الجميع بين افراد المجموعة او في توزيع الارض بين العائلات بصفة دقيقة اولاً نعرف بالضبط الظروف التي تكونت فيها الملكية الخاصة التي يلاحظ وجودها في وقت متأخر من عهد ملوك البربر"[17].

وهكذا نرى ان اتسام السلطة بالطابع الاجتماعي في ليبيا القديمة هو الذي يفسر عدم وجود سلطة سياسية في هذه الفترة الزمنية . ولكن هذا الغياب لم يمنع من وجود فكر سياسي طالما وجدت سلطة وان كانت ذات طابع اجتماعي. وهذا ما تلمسناه من وجود ممارسات سلطوية تتمثل بالتنظيمات القبلية والمشتركات والاتحادات القروية والممالك القديمة في ليبيا ابان العصور السحيقة القدم.

ويبدوان الامر سيتغير منذ ان بدأ الفينيقيون بالاستقرار في ليبيا على اثر محاولة الاغريق الاستيطان في (وادي كعام) او(ازيروس) وذلك في القرن السادس قبل الميلاد.

**ب. سلطة الحضارة المستقرة في ليبيا القديمة:**

ان بواكير الفكر السياسي المتصل بالسلطة السياسية عرف طريقه الى شمال افريقيا مع المستعمرات الفينيقية الاولى التي اخذت تستقر على السواحل الافريقية الشمالية في اواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد[18] فقد طبق الفينيقيون في المدن التي شيدوها في ليبيا القديمة دستور اسبرطة، وقبل ذلك يلاحظ مع نزوح الاغريق بدأت الفترة الحضارية المستقرة في اقليم ليبيا القديمة. وهذا النزوح بدأ لاسباب اقتصادية حيث كانت الحاصلات الزراعية والحيوانية سبب لاندفاع اهالي جزيرة (ثيرا) الاغريقية نحو ليبيا ليبنوا قورينا (شحات) وشكلوا طبقة ارستقراطية تضم كبار الملاكين وهي طبقة من اقرباء ملك الثيرائيين. ثم شكلت طبقة ثانية استحوذت على الارض من الليبيين بالقوة تمثلت بالقادمين الجدد من الاغريق الى قورينا (شحات) فبعد قدوم اهالي ثيرا الاوائل وقد دخلت الطبقتان في صراع، فناصر الملك الطبقة الثانية خوفاً من اقربائه، مما اضطر معظم

افراد الطبقة الاولى الى التحالف مع السكان الليبيين الاصليين الذين انتزعت منهم الاراضي بالقوة. وقد انتهى الصراع، اول الامر، بخروج الطبقة الارستقراطية الاولى من قورينا ليقيموا مدينة جديدة هي مدينة (برقة-المرج) وذلك بمساعدة قبيلة ليبية هي قبيلة (الاوسخيساي) وغدت هذه المدينة معقلاً للاستقراطية الاصلية[19].

وفي (قورينا) حصل صراع بين الملك من جهة والطبقة الثانية من جهة اخرى. وكان النصر حليف الملك بعد طردهم ونجاحه في استعادة العرش وترتب على هذا الصراع ورافقه لجوء بعض افراد الطبقة الثانية الى برقة. وعلى اثر هذا الصراع ايضاً بدأ التفكير بوضع تشريع دستوري اختصت به (قورينا-شحات) سمي بـ(دستور المدينة)، أي مدينة قورينا، ومرة سمي بـ(لوحة المؤسسين) ويقال ان افلاطون اسهم في وضع هذه الوثيقة الدستورية. وبموجبها يجلس الملك على قمة السلطة ويقر هذا الدستور وجود طبقتين الاولى تضم اهل (ثيرا) فقط وتسمى طبقة (هنيروي) وهي الطبقة الارستقراطية. والثانية تضم القادمين الجدد من جزر يونانية وتسمى (البيرويكوي) وكانت سلطة الملك مطلقة فبيده الاختصاصات الدينية والمدنية والعسكرية كما عرفت هذه المدينة وفق هذه الوثيقة الدستورية مجلس الشيوخ الى جانب هيئة تتكون من خمسة اعضاء كان الملك في البداية هو الذي يعينهم وكان يعهد الى هذه الهيئة اختصاصاته القضائية كما كان يوجد مجلس شورى يمثل الاسر الثيرائية ليتولى مهمة اختيار اعضاء هيئة الخمسة فيما بعد[20].

ثم عرفت (قورينا) تشريعاً اخر يقسم المدينة الى ثلاث طبقات الاولى (تضم اهل ثيرا في قورينا) والثانية تضم اهل جزيرتي (بلويونيس) و(كريت) في قورينا. اما الطبقة الثالثة فتضم اهل الجزر اليونانية التي نزحت الى قورينا[21].

والجدير بالذكر ان (قورينا) لم تسمح لليبيين الاصليين في ان يكونوا متمتعين بصفة مواطنين وبقيت السلطات محصورة بيد الملك والمجلس والهيئة والتي تشكل القلة الارستقراطية من المهاجرين الاغريق[22].

ان تطور الاحداث يشير فيما بعد الى ان الفرس والاغريق تقاسموا النفوذ على ليبيا فبرقة اصبحت بيد الفرس بعد ان احتل الفرس مصر، واصبحت قورينا بيد الاغريق وقد حصلت ثورة شعبية قضت على نفوذ الفرس ونفوذ الاسرة الاغريقية الحاكمة عام ٤٤٠ ق.م. وعلى اثرها حل النظام الجمهوري وضعف الشكل المركزي للسلطة الذي كان سائداً في العهد الملكي السابق عليه، وكان ذلك في صالح القبائل الليبية[23].

وفي عام ٤٠١ ق.م. حصلت ثورة شعبية اخرى في قورينا وطرأت تغييرات دستورية لصالح الفئات الفقيرة اثر هذه الثورة. لكن

الارستقراطية لم تستسلم وحصل الصراع مجدداً لينتهي بخروج الارستقراطية من قورينا لاجئة الى (بطليموس) حاكم مصر الذي اعاد لها السلطة ومن ثم بمساعدته لهذه الارستقراطية بدأ العهد البطليمي في مدينة قورينا[٢٤].

وقد صدرت في هذا العهد وثيقة دستورية جديدة لقورينا وبموجبها اصبح بطليموس على رأس الهيئة الحاكمة في المدينة واخذ يمنح حق المواطنة ويتولى تعيين اعضاء مجلس الشيوخ بالاضافة الى ممارسته للقضاء. كما ان هناك هيئة مواطنين تضم المواطنين العاديين بواقع عدد محدد كما يشترط ان يكون عضو هذه الهيئة ابنا لوالدين من قورينا او من ابناء سيدات ليبيا واباء اغريق من سكنه قورينا او برقة التابعة لقورينا[٢٥].

ولاعضاء هذه الهيئة الحق في الانتخاب على الا يقل عمر كل عضو فيها عن ثلاثين عاماً وله نصاب مالي قدره (٢٠ ميناي) ومن بين اعضاء هذه الهيئة يتم انتخاب اعضاء مجلس الشيوخ. وهناك مجلس شورى على غرار مجلس الخمسمائة اليوناني يسمى (مجلس البولي) وبالنتيجة فإن الدستور البطليمي يجمع بين الخصائص الارستقراطية والخصائص الديمقراطية[٢٦].

وفي العهد البطليمي حصل الصراع مع القرطاجيين كما حصلت عدة ثورات خاصة في برقة. وهكذا يبدو ان الفكر السياسي بدأ بربريا ثم اغريقيا ثم انتقل قرطاجيا ثم رومانيا ثم بربريا ثم بيزنطيا ثم بربريا ثم اسلاميا.

وفي مساره القرطاجي يلاحظ ان الفكر السياسي في ليبيا القديمة كان قد ارتبط بمدينة قرطاجة (أي القرية الجديدة) اسست من قبل المهاجرين من صور الفينيقية. وقد بنت قرطاجة حضارتها فاستمرت قرونا. غير ان شوكتها اخذت تضعف امام قوة روما المتصاعدة فيما بعد.

تأسست الدولة القرطاجية سنة ٨١٤ ق.م. ومنذ تأسيسها اخذت تستعد للقيام بدور كبير فبنت الاساطيل البحرية وانشأت جيوشاً برية، فسيطرت على غربي البحر المتوسط سيطرة كاملة لاسيما منذ القرن السادس ق.م. وفي اثناء توسع نفوذها اصطدمت بالاغريق ثم الرومان. وقد هاجم القائد القرطاجي (هنيبعل)الرومان في عقر دارهم (روما) لكن الرومان تمكنوا عام ٤٦ ق.م. من تدمير قرطاجة تدميراً كاملا[٢٧].

والجدير بالاشارة ان نظام الحكم القرطاجي كان قد تأثر بانظمة الحكم الرائجة في العالم المتمدن انذاك لاسيما بانظمة الحكم اليونانية والفينيقية. وقد ظلت قرطاجة مخلصة لتقاليدها فكانت حكومتها الاولى حكومة ارستقراطية ميركنتلية[٢٨] ولم تكن الارستقراطية القرطاجية ارستقراطية وراثية بل ارستقراطية متغيرة بتغير الثروات وانتقالها فقد

كانت الثروة والقيم الشخصية تمثلان شرطين اساسيين لتولي الوظائف العامة. وفي هذا الصدد يقول ارسطو "يرى القرطاجيون انه على طالب الوظيفة العامة ان يكون ذا مال الى جانب تمتعه بالمؤهلات الشخصية"[٢٩] الا ان النظام السياسي القرطاجي الاول لم يكن ارستقراطيا خالصاً. فقد ظهرت فيه جذور اقلية ملكية واخرى ديمقراطية. فالحكام شبهوا بالملوك والجمعيات الشعبية شبهت بالمجالس النيابية[٣٠].وتنحصر بين ايدي هؤلاء الحكام سلطات واسعة. فكثيراً ما تسلموا قيادة الجيوش وترأسوا جلسات مجلس الشيوخ والمرجح انهم كانوا يحكمون ما داموا على قيد الحياة وان حكمهم كان حكماً ثنائياً فيه بذور المشاركة الشعبية. وبعد هؤلاء الحكام احتل قادة الجيش المقام الاول في الجمهورية القرطاجية. وخضع هؤلاء القادة في تعيينهم لمجلس الشيوخ الارستقراطي والجمعية الشعبية. وقد عين مجلس الشيوخ لهؤلاء القادة مساعدين لادارة شؤون الدولة. وبقي القائد العسكري السيد المطلق في ادارة العمليات الحربية وفي تحمل مسؤولية هذه العمليات الا ان مستقر السلطات الحقيقي كان في مجلس الشيوخ الذي يتألف من ٣٠٠ عضواً من الذين ينعمون بدرجة معينة من الثروة ويمثلون القبائل الثلاث التي تؤلف جماعة المواطنين القرطاجيين، فلهذا المجلس سلطات اعلان الحرب واقرار السلم[٣١].

وفي اواخر القرن الثالث ق.م. انحصرت صلاحيات هذا المجلس بـ(عشرة) اعضاء، وهم اكثر الاعضاء نفوذا فيه حيث تمتع هؤلاء بسلطات تشريعية وتنفيذية واسعة وقد تمكنت قرطاجة باستبدادها من جمع ثروات هائلة، خاصة من مستعمراتها المنتشرة على طول سواحل شمال افريقيا ومن بينها طرابلس[٣٢] بيد ان هذه الثروات المجموعة بالظلم والتعسف كانت السبب الاول في انهيار دولة قرطاجة. ولذلك قيل "ان روما بنت عظمتها على صخرة، اما منافستها قرطاجة فتتدحرج على رمال من الذهب"[٣٣].

فالملاحظ ان روما حركت القبائل النوميدية المنتشرة في شمال افريقيا نحو الغرب وحرضتها على انشاء مملكة تنافس قرطاجة وتستعد للقضاء عليها. ومنذ القرن الثالث ق.م. اخذت تظهر الى الوجود حضارة نوميدية (وهي حضارة للشعوب البربرية التي سكنت شمالي افريقيا لاسيما بين تونس وموريتانيا) وكان الزعيم النوميدي (مازينيسا Maassinissa) المؤسس الحقيقي لهذه الحضارة.

وقد افاد (مازينيسا) من الحضارتين الاغريقية والقرطاجية لتقوية اقتصاد مملكته الممتدة نفوذها في تخوم تونس الى اقاصي المغرب جعل نظام حكمه نظاماً ملكياً مركزي الادارة ونصب نفسه ملكاً والها على

القبائل الموالية له. ودام حكمه من سنة ٢٠٣ حتى سنة ١٤٨ ق.م. وتمكن في نهاية الامر من تحقيق حلمه الكبير وهو القضاء على قرطاجة والاستيلاء عليها بمشاركة ومساعدة الرومان لكن روما قامت بعد القضاء على قرطاجة تدك البناء الذي بناه (مازينيسا) وبسطت سلطانها على شمال افريقيا برمته.

وفي ظل الحكم الروماني وقعت بلاد افريقيا الشمالية تحت سيطرة رجال الاقطاع (ملاك الارض الكبار) وتكاثر عدد الاقنان العاملين في زراعة الارض ونشأت من جراء ذلك طبقة من الفلاحين الذين اخذوا يتململون ضد الحكم الروماني والنظام الاجتماعي السائد. وفي القرن الخامس الميلادي هاجمت قبائل الفاندال افريقيا الشمالية فاحتلتهما ودمرت مدنها فانتهى الدور الروماني في شمال افريقيا. ولما طرد البيزنطيون قبائل الفاندال وقعت المنطقة تحت الحكم البيزنطي وفي ظل هذا الحكم عاد الانسان الليبي والافريقي الشمالي الى الرعي بدل الزراعة وعاد المجتمع ينتظم في قبائل بربرية حول امراء اقوياء. وكان اخر ملوك هذه القبائل البربرية (قصيلة) و(الكاهنة) اللذان ظلا سيدي المغرب طيلة سنوات وقاوما الفتح الاسلامي بضراوة واتصف حكم (الكاهنة) بالجور والظلم والاستبداد فنقم عليها ابناء قبيلتها وخرج بعضهم عليها وحاربها الى جانب المسلمين[٣٤].

وبمقتل (الكاهنة) سنة ٦٩٣م (٧٤هـ) انهارت اخر الممالك البربرية على يد العرب الفاتحين لتغادر شمال افريقيا وليبيا العصر القديم وتدخل في العصر الوسيط تحت فضاءات الاسلام الفكرية والثقافية والسياسية[٣٥].

---

(١) شارل اندرس جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر، ١٩٦٩، ص٧.

(٢) د. مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٦٦، ص٣٤. وللتفاصيل انظر د. عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، منشورات الجامعة العربية، دار صادر، بيروت ١٩٧١، ص١٠٣-١٠٧.

(٣) انظر د. حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٧-٢٨.

(٤) انظر د. عبد الرضا حسين الطعان، الحياة الدستورية في ليبيا القديمة، بحث غير منشور.

(٥) د. فؤاد البيطار، ازمة الديمقراطية في الوطن العربي، دار بيروت للنشر، ط١، ١٩٨٤، ص٤٧.

(٦) روبن هالبب، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة د. الهادي ابو لقمة ود. محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٦، ص٢٧.

(٧) اشار المؤرخ اليوناني هيرودوت الى القبائل التي تكون منها السكان الليبيون فذكر منها (الادير ماجيداي) و(الناسامونيس) و(الجيلسكاماي) و(الاسبيشاي) و(الاوسغيساي) و(المسياجيتاي) و(البيسلوي) و(اجامغازانش) و(الحرامنتيس).
Herodotus, The Histories, PP.168-180.
عن الدكتور الطعان، مصدر سابق ذكره.

(٨) نقولا زيادة، الدولة العربية الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت١٩٥، ص٣٣، وللتفاصيل انظر الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص١١٣-١١٤.

(٩) عن الطعان، مصدر سابق.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) الدكتور عبد اللطيف البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص١١٦. ومن الجدير بالذكر ان النصوص

المصرية القديمة كانت قد ارخت بشكل واسع للتاريخ الليبي القديم. للتفاصيل في ذلك انظر الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، مصدر سابق الذكر، ص٢٤-٢٧. وكذلك الدكتور مصطفى كمال عبد العلمي، ليبيون واغريق في برقة في اوراق البردي المصرية في عصر البطالمة، في كتاب "ليبيا في التاريخ" بحوث المؤتمر الذي نظمته الجامعة الليبية (جامعة قاريونس حالياً) كلية الاداب من ١٦ لغاية ٢٣ مارس ١٩٦٨، ص٩٩-١١٦ كذلك انظر الدكتور فوزي فهيم جاد الله، رسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، عن كتاب ليبيا في التاريخ، مصدر سابق الذكر، ص٤٣-٧٥.

(١٢) د. مصطفى كمال عبد العلمي، مصدر سابق الذكر، ص٧٠. وكذلك انظر الدكتور عبد اللطيف البرغوثي، مصدر سابق الذكر، ص١٥١-١٥٢.

(١٣) انظر شارل اندروس جوليان، مصدر سابق الذكر، ص٨١.

(١٤) عن الدكتور الطعان، مصدر سابق الذكر.

(١٥) Jihn Wright, Libya, London, 1969, P.30. عن الطعان، مصدر سابق الذكر.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) شارل اندرس جوليان، مصدر سابق، ص٧٥.

(١٨) اندريه ايماروجان بوابيه، تاريخ الحضارات العام، ص٥٩١.

(١٩) انظر: د. ابراهيم نصحي، انشاء قورينا وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، كلية الاداب، ١٩٧٠، ص٧٩-٨٠.

(٢٠) د. مصطفى كمال عبد العلمي، مصدر سابق، ص٦٢٧.

(٢١) د. حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مصدر سابق، ص٥٩-٦٠.

(٢٢) د. مصطفى كمال عبد العليم، مصدر سابق، ص١٢٨-١٣٢.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٢٤) المصدر نفسه، وللتفاصيل انظر الدكتور البرغوثي، مصدر سابق، ص٢٦٨-٢٩٨.

(٢٥) انظر عرض عام لهذه الوثيقة الدستورية عند الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، مصدر سابق، ص١٣٦-١٤٨.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) P. CRIMAL, La Civilisation Romaine عن الدكتور فؤاد البيطار، مصدر سابق.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) كانت طرابلس تسمى بـ(بوابة الصحراء) وتتكون من ثلاث مستوطنات قرطاجية تجارية هي صبراته داويا (طرابلس) ولبده. وابناء لبده اسسو مستعمرة لهم في شحات التي زارها المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت والتي بناها ابناء جزيرة ثيرا اليونانية. انظر بروين هاليب، تجارة الذهب، مصدر سابق الذكر، ص٥٧ وما بعدها.

(٣٢) انظر د. فؤاد البيطار، مصدر سابق الذكر، ص٥٨.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٦٤-٦٦.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه.